

وقد أكدت لي هذه الدراسة عدة حقائق منها أن تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر ما زال يحتاج الى دراسات عديدة من الباحثين تزيل ما غشي هذا التاريخ من تشويه وغموض ، وتعظيم الشعور النفسي لدي بضرورة الاستمرار في دراسة الموضوع وإبراز دور الشعب العربي في فلسطين في مقاومة الاستعمار والصهيونية العالمية « (ص ٧) .

والسؤال : اذن ، ما الذي فعله المؤلف ليزيل « ما غشى هذا التاريخ (تاريخ فلسطين) من تشويه وغموض » ؟ وهل استطاع فعلا ان يبرز « دور الشعب العربي في فلسطين في مقاومة الاستعمار والصهيونية العالمية » ، خلال الفترة التي يدرسها وهي تمتد من ١٩١٧ الى ١٩٣٦ .

قسم المؤلف موضوعه الى خمسة فصول على النحو التالي : الفصل الاول : الحركة الوطنية اثناء الادارة العسكرية (من ١٩١٧ - يوليو ١٩٢٠) . الفصل الثاني : الحركة الوطنية من الإدارة المدنية حتى اقرار صك الانتداب (يوليو ١٩٢٠ - يوليو ١٩٢٢) . الفصل الثالث : الحركة الوطنية في فلسطين من الانتداب حتى اضطرابات ١٩٢٩ . الفصل الرابع : اضطرابات ١٩٢٩ . الفصل الخامس : سنوات التفرغ في أساليب الحركة الوطنية . ونظرة واحدة على هذا التقسيم تكشف عن الاخطاء الاساسية في بنيان هذه الدراسة والتي يمكن اجمالها في ثلاثة عيوب منهجية بارزة وواضحة ، هي :

أولا : قفز الكاتب الى موضوعه دون مقدمات ، فهو يفترض ان القارئ يعرف تطورات الوضع الفلسطيني قبل ١٩١٧ ، ويعرف ما هي الصهيونية ، متى نشأت ، وماذا تريد ، وغير ذلك . قد يقال ان هذه رسالة جامعية تفترض ان كل هذا من قبيل المعلومات العامة والمتاحة كثيرا للمتخصصين بل ، وللقارئ العادي . قد يكون لهذا الرد وجهته اذا ظلت الرسالة في حيز الجرم الجامعي ، ولكن السرد يفقد وجهته ، ويسقط ، عندما تخرج الرسالة في شكل كتاب مطبوع ، ومطروح في السوق ومعروض للقارئ العادي . واي قارئ ، سيبدأ في الصفحة الاولى من الفصل الاول ، لا بد ان يصاب بقدر من الدهشة والمناجاة من هذا النهج غير العادي في الهجوم على الموضوع مباشرة ، ودون مقدمات ،

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية رسالة ماجستير عن « فتح » . وبالطبع فان كل هذه الدراسات والكتابات - سواء ما طبع منها وأنتج لجمهور القراء او ما لم يطبع بعد - ليست على درجة واحدة من العمق والاصالة ، ولكنها في التحليل النهائي تعكس تيارا « علميا » يستحق الترحيب والتشجيع ، حتى تستطيع الجامعات العربية ان تشارك بالدور المأمول فيها ، والمطلوب منها ، لقضية النضال العربي .

واتجاه الشباب المصري الى جعل « قضية فلسطين » موضوعا لدراساته الجامعية يعكس ، في الواقع ، مدى الاهتمام الذي أصبحت هذه القضية تحظى به في مصر ، ولدى الشباب المثقف بصفة خاصة . منذ سنوات - وربما حتى الآن - كان جيبينا يندى بالخرزي ونحن نجد بعض الشباب المصري لا يعرف متى نشأت اسرائيل ! ومن هو رئيس وزرائها ، وما أهم الأحزاب فيها . ان هذا لم ينته بعد ، ولكنه بدأ يتلاشى ، ويتراجع ، لاسباب كثيرة ، لم تكن هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ أثلها شأننا ، فقد فتحت عيون المصريين على خطر يترصد بهم في الشرق اسمه اسرائيل ، ابتلع « اخوة » لهم ، ولن يتردد في ابتلاعهم ، وتهديدهم ، والعمل على ابقائهم متخلفين . فقد هزت الهزيمة كيان مصر ، وان كانت هذه الهزة لم تخرج كل آثارها بعد .

ولعل المؤلف قد طرقت هذه النقطة بطريق غير مباشر بقوله : « تفتحت عيناى على أحداث القضية الفلسطينية منذ الحرب الفلسطينية عام ١٩٤٨ . . . لكن علاقتي بتاريخ فلسطين ترجع الى أكثر من عشر سنوات عندما كنت طالبا بقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة القاهرة . اختار من البحوث المطلوبة ما يتعلق منها بفلسطين ، وقد أوضحت لي هذه الدراسة الأولية أنني لم أكن أعرف كثيرا من الحقائق المتعلقة بتاريخ الشعب الفلسطيني ونضاله وتحمله وحده مسؤولية مكافحة الصهيونية في فترة ما بين الحربين العالميتين . ثم أتيت لي في خلال أدائي للخدمة العسكرية أن أمضي فترة في سيناء وغزة ، فشاهدت عن كثب قضية اللاجئين على الطبيعة ، ودعمني ذلك الى متابعة اهتمامي العلمي في دراسة سياسية واجتماعية عن قضية اللاجئين ، نشرتها الدار القومية للطباعة والنشر عام ١٩٦٢ ،